جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

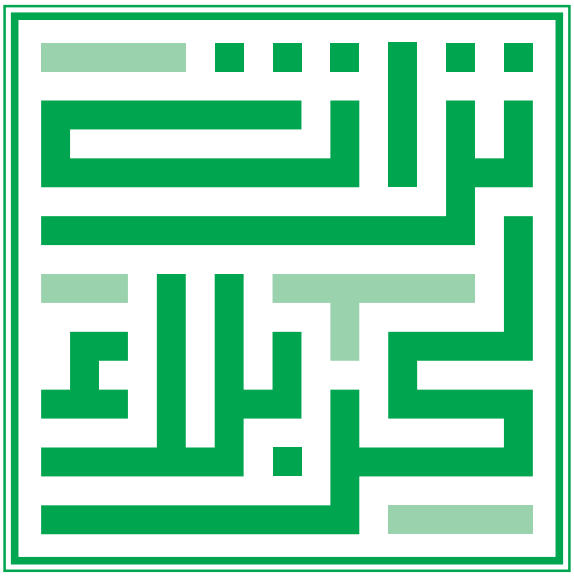

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث كربلاء

السنة الثالثة/ المجلّد الثالث/ العدد الاول

جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ / آذار ٢٠١٦م

العتبة العباسية المقدسة
تراث كربلاء : مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث الكربلائي = : Karbala heritage
Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage/ العتبة العباسية المقدسة. – كربلاء : الامانة العامة للعتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٦.
مجلد : ايضاحيات ؛ ٢٤سم
فصلية – السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، العدد الاول (٢٠١٦-)
ISSN 2312-5489
المصادر.
النص باللغة العربية ؛ مستخلصات بالعربية والانجليزية.
١.كربلاء (العراق)-- تاريخ – دوريات. ٢.السياحة – العراق – كربلاء – دوريات ٣.بحر العلوم ، محمد مهدي بن مرتضى بن محمد ، ١١٥٥ – ١٢١٢ هجريا – نقد وتفسير – دوريات .الف .
العنوان . ب.العنوان: Karbala heritage Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage
DS79.9.K37 A8 2016.V3
الفهرسة والتصنيف في العتبة العباسية المقدسة

ردمد: 2312-5489

ردمد الالكتروني: 2410-3292

الترقيم الدولي: 3297

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٩٩٢ لسنة ٢٠١٤م

كربلاء المقدسة – جمهورية العراق

Phone No: 310058

Mobile No: 07700479123

E.mail: turath.karbala@gmail.com

دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

+964 770 673 3834
+964 790 243 5559
+964 760 223 6329
www.DarAlkafeel.com

المطبعة: العراق ـ كربلاء المقدسة ـ الإبراهيمية ـ موقع السقاء ٢

الإدارة والتسويق: حي الحسين ـ مقابل مدرسة الشريف الرضي

المحتويات

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٥	ملامح من الغزو النجدي الوهابي لمدينة كربلاء المقدسة لعام ١٨٠١ م في المصادر الفرنسية	**أ.د. صادق ياسين الحلو** جامعة اهل البيت (عليهم السلام) كلية الآداب قسم الصحافة
٦٣	رمزية التمدن في خطاب الثورة الحسينية	**أ.د. زمان عبيد المعموري** جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية قسم التاريخ
٨٥	أثر الأضرحة المقدسة على نشوء مدينة كربلاء و عمرانها	**أ.د. رحيم حلو البهادلي** جامعة البصرة كلية التربية للبنات قسم التاريخ **م.م. ماجد حياب سمير** وزارة التربية مديرية تربية البصرة
١٠٥	أثر الصناعة في التوسع العمراني لمدينة كربلاء دراسة في جغرافية المدن	**م.م. ندى جواد محمد علي** جامعة بغداد كلية العلوم وحدة الاعلام و المعلوماتية
١٤٧	كربلاء في الهند في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر- المعالم و الهوية	**م.د. أسعد حميد أبو شنة العرادي** جامعة المثنى كلية التربية الاساسية قسم التاريخ

١٧٣	موقف علماء الدين في كربلاء من الاحتلال البريطاني الشيخ أبو القاسم الكاشاني أنموذجا (١٩١٤-١٩٢٠)	**م.د. علاء عباس نعمة الصافي** جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية قسم التاريخ **م.د. حسن ضاري سبع** جامعة القادسية كلية التربية- قسم التاريخ
٢١١	الأمام الحسين (عليه السلام) في كتاب درر السمط في خبر السبط لأبن الآبار الأندلسي (ت ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م)	**أ.م.د. سادسة حلاوي حمود** جامعة واسط كلية الآداب- قسم التاريخ **م.م. محمد عويد غليم** جامعة واسط - كلية الآداب قسم التاريخ
٢٧١	لمحات الى تاريخ الواقع الصحي في لواء كربلاء (١٩٢١-١٩٥٨)	**أ.م.د. رحيم عبد الحسين عباس العامري** جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية قسم التاريخ **م.م. ياسين عباس حمد** جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية قسم التاريخ
٣٣٩	الخلفيات الاجتماعية و السياسية لنواب كربلاء (١٩٢٥-١٩٥٨ م)	**م.م. طارق شيحان العقيلي** وزارة التربية مديرية تربية الرصافة الثانية

ملامح من الغزو النجدي الوهابي
لمدينة كربلاء المقدسة لعام ١٨٠١ في المصادر الفرنسية

Some Insights From The Najdi Wahabi Invasion Of The Holy City of Karbala In 1801 According To French Sources

أ.د. صادق ياسين الحلو

جامعة اهل البيت عليهم السلام

كلية الآداب

قسم الصحافة

Prof . Dr . Sadiq Yaseen Al- Hilo

Ahlul- Bait University

College of Arts

Dept. of the Press

الملخص :

تعرضت مدينة كربلاء في القرن التاسع عشر الى غزوات نجدية (وهابية) عدّة ابتدأت اولها في عام ١٨٠١، ثم توالت تلك الهجمات في عام ١٨٠٦ فهاجموا سكانها ونهبوا حقولها وفي عام ١٨٠٧ وصلت غزوة نجدية وهابية الى الحلة اولاً ثم الى كربلاء إذ دهموها في وضح النهار على حين غرة فتصدى لهم الكربلائيون وأجبروهم على التراجع، ثم حصلت اغارة نجدية وهابية عام ١٨١٠ على مدينة كربلاء والحلة والنجف وفرضت القوات الغازية طوقاً على المثلث الواقع بين هذه المدن الثلاث .

سيتم التركيز في هذا البحث على الغزو الوهابي النجدي لعام ١٨٠١ م من خلال ما كتبه الرحالة الفرنسيون والرسميون الفرنسيون كالقنصل الفرنسي في بغداد والقنصل الفرنسي في حلب.

Abstract

In the nineteenth century Karbala City was attacked many times by the Najdi (Wahabi's), the first of which was in 1801 . The attacks successively continued in 1806 as its inhabitants were killed and its agricultural fields were despoiled . In 1807 another Najdi Wahabi invasion reached Hilla first and then extended to Karbala . The invaders surprisingly attacked it in the day light and the people of Karbala stood against them and forced them to retreat . In 1801 another Najdi Wahabi invasion took place on Karbala Hilla and Najaf cities and the invaders surrounded the triangle incorporating the three cities.

In the present research, emphasis would be on the Najdi Wahabi invasion in 1801 relying on what the French explorers and French officials wrote down such the French consuls in Baghdad and Aleppo .

اهمية كتابات المصادر الفرنسية
عن الغزو النجدي الوهابي

اتسمت الكتابات الفرنسية عن الغزو النجدي الوهابي لمدينة كربلاء عام ١٨٠١ بقلتها وذلك بسبب إنشغال فرنسا بأحداث الثورة الفرنسية في هذه الحقبة، فضلا عن قلة اهتمامها بالمنطقة إذ لا توجد مصالح واسعَه لها فيها .

لذلك فكتابات الرحالة والكتاب الفرنسيين والقنصلين الفرنسيين وهما:

جان باتيست لوي جاك بارون روسو Jean Baptiste Louis Jacques baron Rousseau، القنصل الفرنسي في بغداد ثم في حلب، وكورانسز Corancez، القنصل الفرنسي في حلب ارتكزت على ماشاهدوه وسمعوه عن حادثة الغزو النجدي الوهابي وما رافقه من قسوة وقتل لسكان المدينة وتهديم للبيوت ونهب للكنوز في مرقد الامام الحسين عليه السلام .

تلك الكتابات تنبع اهميتها من ان قسماً من كاتبيها، وبخاصة القنصليين الفرنسين، كانت لا تفصلهم عن تلك الحادثة سوى مدة سبع سنوات، كما ان وصف الوهابيين وعقيدتهم في نجد من جانب روسو جاء نتيجة قيامه برحلة من بغداد الى حلب، ومن حلب الى الجزيرة العربية.

وعند التقصي عن الدراسات السابقة مما كتب عن الغزو النجدي الوهابي لكربلاء من خلال المصادر الفرنسية ظهر انه لا توجد دراسة متخصصة في ذلك بل ان الكتابات عن الحادثة جاءت ضمناً في دراسة مشتركة للدكتور قيس جواد العزاوي، والدكتور نصيف الجبوري

وعنوانها : كربلاء كما وصفها بعض المستشرقين الفرنسيين [١]، ورد فيها اسطر قليلة في مصدرين منها، والدراسة الاخرى هي للدكتور جليل العطية المعنونة : كربلاء في عيون الرحالة الغربيين، فلا يوجد شئ فيها عن الغزو النجدي الوهابي لكربلاء، وكذلك ماكتبه الدكتور محمد صادق الكرباسي في موسوعته العتبة الحسينية عند المستشرقين لم يكن فيها من الفرنسيين سوى جاك بيرك(Jacq Bierk)، الذي لم يكتب شيئاً عن الحادثة المذكورة.

اما كتاب السيد عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، كربلاء في ادب الرحلات فما جاء فيه من رحالة فرنسيين لم يتطرقوا الى الحادثة، غير ان اوسع دراسة واسعة عن الحادثة كانت للدكتور مقدام عبد الحسين باقر الفياض بعنوان : الغزو النجدي الوهابي لمدينة كربلاء المقدسة في مطلع القرن التاسع عشر دراسة تأريخية تحليلية، وعلى الرغم من كثرة مصادرها وتنوعها لكن الباحث لم يرجع فيها الى اي مصدر فرنسي .

وأخيراً تأتي دراسة الدكتور صادق ياسين الحلو المعنونة : كربلاء في كتابات الرحالة والرسميين الفرنسيين في القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩١٤، (قيد النشر) تناول حادثة الغزو النجدي الوهابي فيها ضمناً وَيعوزها التفصيل، وهذا ما اختصت بها هذة الدراسة .

ولابد من التأكيد في نهاية المطاف ان ما اتصفت فيه الكتابات الفرنسية عن الغزو النجدي الوهابي لكربلاء من خلال كتب الرحلات او الكتّاب أو الرسميين الفرنسيين (القناصل) يتمثل في :

أولاً : ان كتابات القناصل الفرنسيين اقرب الى شهود العيان لقصر المدة

الزمنية بين حصول ذلك الحدث وكتاباتهم عنه فرحلة الجزيرة لروسو بدأت في ٢٢ تشرين الأول وانتهت في ٢٣ كانون الاول ١٨٠٨ [٢].

ثانياً: تعد الكتابات الفرنسية محايدة واقرب الى الموضوعية لأن كتّابها من الرحالة والكتّاب لم يكونوا قريبين أو منتمين الى اي جهة من المذاهب الاسلامية فهي بذلك بعيدة عن التعصب والانحياز لذا تم الاعتماد على مؤلفاتهم الأصلية باللغة الفرنسية او المترجم منها للإضاءة من خلالها على طبيعة الغزو النجدي الوهابي لكربلاء كما كتبتها اقلام الكتاب والرحالة والرسميون الفرنسيون على حد سواء .

ظهور العقيدة الوهابية ومبادؤها بإقلام القناصل الفرنسيين

الوهابية عقيدة دينية، حسب وصف القنصل الفرنسي في بغداد جان باتيست لوي جاك روسو، وسميت بالوهابية نسبة الى محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢) الذي ولد في بلدة العُيَيّنة في وسط نجد، وتتركز على ضرورة الاعتراف بوحدانية الله وعلى تطبيق اركان العقيدة التي يدّرسها على وفق كتاب الله .

اما عن النبي محمد ﷺ فعدّه رجلاً حكيماً لا اكثر، ويمنع كل مظاهر الاجلال التي يظهرها المسلمون له، ويرفض بالشدّة نفسها تبجيل المسيحيين واليهود والاتراك (المسلمين) للأنبياء معلناً ان الله يغضب من طريقة العبادة هذه التي يوليها البشر لهذه المخلوقات البسيطة التي خلقها الله بيده، ولا يربطها مع جوهره الابدي شيء مشترك، فليس هناك ما يميّزه عنّا على وفق

رأي محمد بن عبد الوهاب . وقد ارسله الى الارض ليقضي على عبدة الاصنام وليقود شعبه الى الطريق المستقيم .

وأضاف (محمد بن عبد الوهاب) ان بعض المسلمين يتشددون ضد التعاليم ويعبرون على عماهم، لذا يجب ان ينظر اليهم ككفار وملحدين يستحقون القتل، ولا بد من ابادتهم جميعاً لأنهم يهينون الـذات الإلهيه ويجعلون لله شركاء . فالخلق من صفاته وحده وقد بدأ الشيخ محمد دعوته السرية بالارشاد وجمع حوله بعض الانصار، لكن اعدادهم كانت محصورة ضمن نطاق قبيلتهم المتنقلة وكان يشعر بالراحه وبحاجه الى قوة اكبر[٣] .

واضاف روسو في كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية سنة ١٨٠٨) Voyage 1808 a la pensula Arabic dans L annee

عن محاولة محمد عبد الوهاب نشر عقيدته خارج نجد قائلاً :

" انطلق (محمد بن عبد الوهاب) في البلاد فطاف في نجد وسوريا والعراق العربي بحثاً عن سلطة يعتمد على حمايتها له، تساعده من أجل تحقيق اهدافه لكنه باء بالفشل فقد تعب جداً بأسفاره هذه التي لم تأتِ بفائدة، واذ شعر باليأس لتحقيق التغير الذي كان يأمله ويخطط له، فقد انسحب الى الدرعية .."[٤] .

ثم وصف روسو التقاء محمد بن عبد الوهاب بمحمد بن سعود في الدرعية فقال : " هناك في الدرعية وجد في شخص الامام بن سعود حاكمها ذلك السند الذي طالما بحث عنه، فأستقبله باحترام، وتبنى آراءه، وسهل على جماعته فهم التعاليم التي كان يطرحها فالتزم كل واحدمنهم ان يدافع بكل الوسائل التي تتاح له عن مباديء الحركة الجديدة التي اتخذت منذ ذلك

الحين اسم الوهابية" [٥] . " وهكذا ظهر زعيم هذه الطائفة محمد بن سعود بسرعة فائقة من وسط بلاد العرب، ووجد في هذه المباديء ما يرفع من شأنه فاعتنق العقيدة الجديدة . لقد شعر بأنه يستطيع استخدام مباديء هذا المصلح (حسب رواية روسو) ذرائع لمهاجمة الامم الاخرى التي لم تخضع لاستعباده " [٦].

لِذلك أتخذ بن سعود لقب الامير والقائد العام للوهابيين، واعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القائد العام للوهابيين وهكذا كانت القسمة الطبيعية بالسلطة والسيادة الروحية والزمنية واختيرت الدرعية عاصمة للدولة الجديدة[٧] .

وفضلاً عن ذلك كان احترام ذكرى المشايخ والائمة في نظر الوهابيين يعد انتهاكاً للحرمات فالواجب يفرض عليهم تهديم كل المساجد التي بناها المسلمون الاتقياء لاوليائهم وهم يعيبون على الامم التي تزين قبور موتاهم [٨].

في هذا الاطار يمكن فهم احد الاسباب التي دفعت بالوهابيين الى غزو مدينة كربلاء لتهديم العتبات المقدسة فيها وقد اشار القناصل الفرنسيون الى ان الوهابيين رفضوا المذاهب السنية الاربعة ومذهب الامامية الاثني عشرية [٩]. باعتبار انهم يعدّون القبور دوارس ويجب ازالة مايقام عليها حتى وان كانت شواهد بسيطة .

لهذا لا يُستغرب تعرض مدينة كربلاء المقدسة في القرن التاسع عشر الى غزوات نجدية وهابية عدة ابتدأت اولاها في عام ١٨٠١، ثم توالت تلك الهجمات منها في عام ١٨٠٦ هجموا على اطرافها ونهبوا حقولها، وفي عام

١٨٠٧ وصلت غزوة نجدية وهابية الى الحلة أولاً ثم الى كربلاء اذ دهموها في وضح النهار على حين غرة فتصدى لهم الكربلائيون واجبروهم على التراجع، ثم حصلت اغارة نجدية وهابية عام ١٨١٠ على مدينة كربلاء والحلة والنجف وفرضت القوات الغازية طوقاً على المثلث الواقع بين هذه المدن الثلاثة .

سيتم التركيز في هذا البحث على الغزو النجدي الوهابي لعام ١٨٠١ م من خلال ما كتبه الرحالة الفرنسوين والرسميون الفرنسيون كالقنصل الفرنسي في بغداد والقنصل الفرنسي في حلب .

اسباب الغزو

اسهمت عوامل عديدة سياسية واقتصادية وجغرافية ودينية في دفع النجديين الوهابيين للإغارة والى غزو كربلاء المقدسة كان اولها العامل السياسي حيث كانت كربلاء المقدسة جزءاً من ولاية بغداد الخاضعة للسيطرة العثمانية، ويدخل ذلك في اطار الصراع بين النجديين الذين اعتنقوا مذهب محمد بن عبد الوهاب منذ نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر حيث نشأت الدولة السعودية الاولى ١٧٤٥- ١٨١٨ فشكلت خطراً على النفوذ السياسي للدولة العثمانية، اما ثاني تلك العوامل فهو العامل الاقتصادي حيث ان النجديين اتجهوا الى المدينة لأنها كانت مستودعاً لما تحويه مراقدها من كنوز نفيسة فذكر الرحالة نيبور : " ان هناك كما يقال عدّة حاجات ثمينة قرب ضريح الحسين .." [١٠] .

وقد جاء في الموسوعة الاسلامية باللغة الفرنسية : " واستولوا (الوهابيون)

على الذخائر والقطع الذهبية والفضة النفيسة وبقية الخزائن ودمّروا القبور"[١١].

اكد ذلك الرحالة الفرنسي دوبرية (Dupree) عند زيارته للمدينة في عام ١٨٠٩ فذكر : "... ان الكم الهائل من الثروة المكدسة خلال سنين طويلة متتابعة أصبحت في لحظة نهباً للوهابيين اولئك قطاع الطرق واللصوص"[١٢].

تقارب روسو في الرأي مع ما ذهب اليه دوبريه في وصف الثراء بمرقد الامام الحسين عليه السلام فذكر: "منذ مدّة طويلة اصبحت الثروات الهائلة التي تكدّست تدريجياً في حرم الامام الحسين عليه السلام هدفاً لمطمع الوهابيين وجشعهم وبدأوا يفكرون بنهبها دوماً معلقين آمالاً كبيرة لإنجاح مشروعهم يقصدون اليوم الذي يسيطرون فيه على هذا الموقع المغري جداً بكثرة الكنوز التي يضمها بداخله" [١٣].

لم يكتف بذلك روسو بل ذكر بعض مصادر الثروة في ضريح الامام الحسين عليه السلام قائلاً : "اصدر الشاه اسماعيل مؤسس السلالة الصفوية في بلاد فارس أمراً ملكياً بتعمير وتجميل المدينة (يقصد كربلاء) وضريح الامام ايضاً وقد اتبع ملوك الطائفة نفسها الذين توّلوا العرش بعد اسماعيل، الحماس والورع نفسه تجاه الحسين، واصبح هذا الورع مثالاً يتبعه الملوك اللاحقون الذين حكموا بلاد فارس وكل منهم يأمل من خلال الهدايا الثمينة التعبير عن خالص إجلاله لِابن النبي الصغير، لدرجة ان مسجد ضريح الحسين اصبح مستودعاً لأنفس محتويات خزائن هؤلاء الملوك .وكما هو معلوم، فإن محمد آغا خان انفق خلال نحو اثنتي عشرة سنة خمسة ملايين قرش لإكساء

الطابوق بالنحاس الذهبي، وأنفق مبلغاً مساوياً لمنائر وقبة الامام الحسين عليه السلام.[١٤].

غير ان ما موجود من اموال وخزائن في ضريح الامام الحسين عليه السلام لم يكن هو السبب الاقتصادي الوحيد الذي حرّك شهية النجديين الوهابيين لغزو كربلاء بل كان هناك جانب آخر اغفلته المصادر الفرنسية وأشرّه المؤرخ التركي ويلك فايا، حيث رأى ان السبب المباشر للهجوم النجدي الوهابي على كربلاء يتصل ايضاً بدافع اقتصادي آخر فقال : " وقع اول هجوم وهابي على مدينة كربلاء عندما حدث صِدامٌ بين عشيرة الخزاعل وبين الوهابيين الذين كانوا متجهين الى النجف والموجودين هناك بهدف التجارة، وقتل من الوهابيين اثناء الصدام نحو ثلثمائه رجل ولأن سليمان باشا اعتقد ان الوهابيين سيتخذون هذا الهجوم حجّة لهم في خلق توتر ومشكلات في المنطقة قام بتأديب تلك الطوائف التابعة لتلك العشيرة، حتى انهم طلبوا من الدولة العثمانية ان تمنحهم منطقة الشاميه الممتدة من مقاطعة عنه حتى البصرة و ذلك تعويضاً عمّا حدث لهم في النجف، وكان هذا الطلب يعبر بشكل واضح عن نيّة الوهابيين في الهجوم، وفي النهاية قاموا بالهجوم على ديار عشائر المنتفك الواقعة جنوب العراق عام ١٧٩٩، وفي عام ١٨٠١ هجموا على قصبات النجف وكبيسة وعنه، اما اعنف هجوم قام به الوهابيون فقد كان على كربلاء في ٢٠ نيسان ١٨٠١ "[١٥].

والجانب الاقتصادي السابق فسرّه مؤرخ تركي آخر هو زكريا كوشون بشكل اوضح فقال : "مثلما لم يكن الوهابيون على وئام مع اهل السنة فإنهم كانوا ينفرون من الشيعة ايضاً بسبب معتقداتهم .فكيفما كانوا ممنوعين على

ايدي اشراف مكة المكرمة من الذهاب الى الحج بدعوى انهم كفرة كذلك كان الوهابيون ايضاً يمنعون الشيعة القادمين من ايران وكذلك الشيعة المقيمون في انحاء بغداد من العبور عبر اراضيهم والذهاب الى الحج . وكان الحجاج القادمون من اطراف بغداد مضطرين للمرور بنجد، فكان الوهابيون يستغلون ذلك للإغارة على قوافلهم ونهبها ورغم ان هذه الظاهره كانت تبدو دينيه الا انها كانت تنطوي ايضا على دوافع اقتصاديه لان الوهابيين كانوا كلما قويت شوكتهم كان يزداد عدد معارضيهم وانحسرت ساحات نشاطهم الاقتصادي وخاصه قبل احتلالهم الاحساء ومن ثم كانوا يصادرون اموال الشيعه ويعتدون على ارواحهم بعد ان البسوا عمليات النهب والسلب حلّه دينيه هذه المره وهذا بالطبع قد ولد نزاعاً من النفور والعداوه الشيعية الوهابية [١٦] .

كان رابع عوامل الغزو سور المدينة الضعيف والمخرب فوصفه نيبور قبل الغزو النجدي الوهابي عندما زار كربلاء عام ١٧٦٥ قائلاً " هناك خمسة ابواب لسور المدينه ولكن السور هو الاخر مشيد باللبن والطابوق المجفف في الشمس، وقد تخرب باجمعه الان "[١٧]. وان النجديين الوهابيين قد رصدوا ذلك وقدروا انهم يستطيعون النفاذ منه .

أمّا السبب الخامس للغزو فكان الجانب الديني فالوهابيون كانوا لا يعترفون بكل المذاهب الاسلاميه ومنهامذهب الشيعه الاثني عشرية ولاسيما ان احد ركائز العقيده الوهابية يقوم على رفض زيارة القبور وعدّها دوارس [١٨] .

واكدت ذلك الرأي ايضا الباحثه جاكلين بيرين عن هجوم الوهابيين

على مدينة كربلاء قائلة : " لفت سعود انظار الاتراك والعالم اجمع بإقدامه فجأة على مهاجمة كربلاء والحدود العراقية بين سنتي ١٨٠١ و ١٨٠٢ في هذه المدينة المقدسة في نظر الشيعة مرقد (الامام) الحسين عليه السلام حفيد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد رائع مليء بالكنوز من تركيا ومن فارس .

فيما يخص الوهابيين فأن هذه التقاليد الدينية هي مجرد هرطقة، فلا يجب ان يبجل احد على الارض حتى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي ان ينزع من الله جزءاً آخر من العبادة الواجبة له وحده دون سواه[١٩] .

اختلفت المصادر الفرنسية حول تحديد تاريخ الغزو النجدي الوهابي الاول لكربلاء المقدسه، فالرأي الاول ذكر انه وقع في نيسان ١٨٠١ في حين رأى اخرون انه حصل في نيسان ١٨٠٢ فالرأي الاول قاله كل من دوبريه روسو وكورانسز (القنصل الفرنسي في حلب) بينما قال الثاني الرحاله الفرنسي (oliver) اوليفيه . لكن المؤرخ العراقي مقدام عبد الحسين الفياض ساق ادلة أكد فيها الرأي الثاني اي ان الغزو كما استنتج حصل في نيسان عام ١٨٠٢ حيث ذكر : تورد المصادر تناقضا بينا في تحديده سنة الغزو النجدي الوهابي لمدينة كربلاء فالروايات تتراوح ما بين ١٧ او ١٨ ذي الحجة ١٢١٦ هـ و ١٨ ذي الحجة ١٢١٧ هـ كذلك ما بين نيسان ١٨٠١ و ٢٠ و ٢٢ نيسان او مايس ١٨٠٢، الامر الذي يولّد إرباكاً وعدم توافق في الحساب الدقيق بين التوقيتين الهجري والميلادي ولتحديد وقتها بشكل اكثر دقّة يمكن الاستعانة بالوقائع القريبة من الحادثة، موضع البحث ولاسيما زيارة سليمان باشا الكبير التي لا تختلف المصادر على ثبوتها واهمية توقيتها ووقوعها في

٨ ربيع الاول ١٢١٧ هـ الموافق ٧ آب ١٨٠٢ وانها بالتأكيد حسبما ذكرت المصادر وقعت بعد ثلاثة اشهر من الحادثة .

ومع هذا يمكن القول من دون شك ان الغزوة وقعت في أواخر ذي الحجة عام ١٢١٦ هـ وليس في عام ١٢١٧ هـ والذي يتطابق في التأريخ الميلادي أواسط نيسان ١٨٠٢ وليس عام ١٨٠١ م [٢٠].

غير اننا نميل الى ما اعتمدته غالبية المصادر الفرنسية التي اعتبرت ان سنة الغزو النجدي الوهابي لكربلاء كان في نيسان عام ١٨٠١ م ولا سيما ان روسو الذي كتب عن الوهابيين صدرت كتبه عام ١٨٠٨ و١٨٠٩ وهو اقرب الى الحدث من غيره .

اعداد النجديين الغزاة وقسوتهم

قدّر القنصل الفرنسي في بغداد روسو المهاجمين : "بخمسة عشر الف مقاتل، وكانت القسوة التي ارتكبوها فظيعة جداً، فلم يسلم الشيوخ والنساء والاطفال منها، وقد أبيد الجميع بالكامل بسيوفهم التي لا ترحم .وخلال هذه المجازر بقروا بطون الحوامل وذبحوا بأيديهم الملطخة بالدم ثمرات أكبادهم إرباً إرباً .."

وزاد روسو وصفاً لهؤلاء بما قاموا به بما اسماها مجزرة كربلاء فقال : " أخيراً جاء اليوم المحدد الذي كان يتمنونه كثيراً، ففي العشرين من نيسان ١٨٠١، باغتوا المدينة بينما كان معظم سكانها قد ابتعدوا عنها فراسخ لاداء مراسم الزيارة لضريح والد سيدهم (يقصد زيارة الامام علي عليه السلام في ذكرى عيد الغدير) فاضرم هؤلاء البرابرة النيران، وكانوا متعطشين الى سفك

الدماء والسلب ولم يرحموا احداً وذبحوا كل من سقطوا في أيديهم وقد رأى بعض الناجين هؤلاء المتوحشين يشربون دماء ضحاياهم المساكين، وقد قدر عدد القتلى في هذه الكارثة الفظيعة باكثر من اربعة الاف شخص "[٢١].

وقسوة النجديين الوهابيين تلك تجاه سكان كربلاء التي ذكرها روسو أكدها مؤرخ فرنسي معاصر هو فرناند تومش Fernand Tomiche قائلاً:" غزا عبد العزيز بن سعود العراق، ونهب كربلاء في اذار ١٨٠٢، المدينة الشيعية المقدسة، فالوهابيون لم يكتفوا بتدمير الاضرحة الموقّرة في المدينة فقط، لكن قتلوا النساء والرجال في الشوارع، فالفظائع التي ارتكبوها في كربلاء اثارت بغضاء شديدة لدى الشيعة، وانطباعاً مضياً في كل العالم الاسلامي "[٢٢].

لكن روسو في رحلة أخرى له معنونة : رحلة من بغداد الى حلب voyage de bagdad a alep روى رواية غريبة عن النجديين الوهابيين في تعاملهم مع سكان كربلاء تختلف عما رواه في كتابه : وصف (باشوية) بغداد حيث جَمّلَ من صورة تعامل الغزاة مع نساء المدينة فقال :"أي قوم هؤلاء الوهابيون، لاأثر للرحمة في نفوسهم، انهم عطاشى الى سفك الدماء والاستحواذ على الغنائم، فلا يستثنون احدا من القتل، بل يذبحون بلا رحمة كل اللذين يقعون لسوء حظهم بايديهم لكنهم يراعون النساء عادة . وقد علمت أنهم عندما دخلوا كربلاء ونهبوها عام ١٨٠١ كانوا يدخلون البيوت من اجل ان يفرغوا جام غضبهم على الناس ويشبعوا جشعهم من الغنائم، لكنهم كانوا يضعون النساء جانباً، وبعد قتلهم للرجال واستيلائهم على كل

شئ كانوا يأمرون النساء بنزع كل ماعليهن من البسة، وكانوا في اثناء خلع الالبسة يديرون وجوههم كي لاينظروا الى عورات الاناث، ثم يجمعون كل البستهن وينصرفون بهدوء " .

ثم يتسآءل روسو : " فكيف نوفق ياترى بين الموقف العفيف وبين سفك الدماء بلارحمة الذي يقوم به هؤلاء اللصوص ؟؟ الا يظهر في هذا الموضوع مايدعو الى الدهشة حقاً بالنسبة لمن يدرس في طبيعة هؤلاء الناس ؟ فيقيّمون موقف الاحترام الذي يلتزمون به تجاه النساء " [٢٣]

لقد انفرد روسو بهذه الرواية عن غيره من الرحالة والرسميين والكتاب الفرنسيين الذين أجمعوا على قسوة وعدم انسانية النجديين الوهابيين مع النساء والشيوخ والاطفال، اذا أضفى على تصرفهم مع النساء جزءاً من الانسانية اي انهم كانوا يديرون وجوههم عن الاناث عند خلع ملابسهن و رغم انه أظهر عدم رجولتهم في سلب ملابس كل النساء حتى تظهر عوراتهن طمعاً في ملابسهن، كما انه تساءل في نفس الرواية : كيف يمكن ان يتصرف اولئك اللصوص بهذا الاسلوب الحضاري في طريقة نهب حلي وملابس النساء وتركهن دون ان يقوموا بقتلهن .

ويبدو ان روسو قد خالف بهذه الرواية ايضاً ما ذكره عن النجديين الوهابيين الرحالة الفرنسي اوليفيه عندما أشار الى : أنهم لا يكتفون بقتل النساء وأنما يبقرون بطونهن ويقتلون اجنتهن[٢٤].

من جانب آخر جاء في روايته لهذه الحادثة (علمت) ولا شك انه علم بذلك من القبائل التي مرّ بها في رحلته من بغداد في طريقه الى حلب وفي بداية

ما يسمى بالجزيرة الشامية (بادية الشام) وكانت بتأريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٨٠٨ من يوميات رحلته في منطقة هيت، حيث كان الوهابيون يغزونها هي ومنطقة عانه بين فتره واخرى، ولا بد ان يكون فيها بعض من افراد تلك القبائل الذين تأثروا بالمذهب الوهابي وحاولوا من خلال هذه الرواية تحسين صورة النجديين الوهابيين بإعطائها بعداً يضفي عليها مسحة انسانية دينية، لكن غاب عن ذهن اولئك من الذي رووا لروسو تلك الرواية . ان سلب ملابس النساء تصرّف لا يدلّ على الاستقامة وحسن الاخلاق العربية التي لا تجيز معاملة النساء والشيوخ والاطفال بمثل تلك المعاملة السيئة والقاسية البعيدة عن الفروسية .

يستطرد روسو في وصف الخراب والتدمير الذي تركه النجديون الوهابيون في المدينة من خلال كتابة وصف (باشوية) بغداد Description de Pachlike de Baghdad قائلاً : وعند خروجهم من (مدينة) الامام الحسين، التي حاصروها على مدى نهارين وليلتين، إقتاد الوهابيون مائتي بعير محمّل بالغنائم النفيسة، ولم يكتفوا بصب جام غضبهم على الاهالي، فقاموا بهدم البيوت ايضاً ... والحقوا اضراراً بمنائر وقباب المسجد بعد ان استولوا على طابوقها المطعم بالذهب الخالص . وما ان عرفوا انه نحاس ذهبي (يقصد مطلياً بالذهب) حتى هدموا تلك الصروح بالكامل، فأنقاضها لا تمثل لهم اي شيء"[٢٥] .

غير ان اوليفيه في كتابه رحلة اوليفيه في الامبراطورية العثمانية قال : " ان صحيفة المونتير Le moniter الصادرة في بربريال السنة ١٢ بحسب تقويم

نابليون الاول " إن الوهابيين ظهروا فجأة امام المدينة بقيادة سعود بن عبد العزيز مستغلين زيارة اهل المدينة للامام علي عليه السلام لإحياء ذكرى عيد الغدير فطبقوا خطتهم للغزو حيث واجهتهم مقاومة ضعيفة من اهل المدينة الباقين فقتلوا جميع ما وجدوا من الرجال في الامام الحسين دون تمييز وحتى النساء الحوامل قتلوهنَّ وبقروا بطونهن وذبحوا اجنتهنَّ وبلغ عدد القتلى الضحايا في ذلك اليوم ثلاثة آلاف [٢٦].

من جانب آخر فإن دائرة المعارف الاسلامية باللغة الفرنسية (وهي مصدر معاصر) قدّرت عدد القتلى بأكثر من ٢٠٠٠ من سكانها وحطموا وخربوا البيوت والاسواق منها[٢٧] .

الرحالّة الفرنسي (دوبريه) لم يختلف عن الآخرين في وصف قسوة الغزاة النجديين فذكر : " غزا اولئك قطاع الطرق مدينة الامام الحسين في نيسان ١٨٠١ فأحرقوا كل شيء في المكان وسفكوا الدماء، وبعد ان اشبعوا جنونهم بقتل عدد كبير من السكان من الجنسين نهبوا كل شيء يثير طمعهم ...[٢٨] .

ويظهر ان بعض الرحالة الفرنسيين والمؤرخين المعاصرين قد بالغوا في أعداد من قتلهم النجديون إذ قدرهم بعضهم بين ٨-٢٠ ألف وهي ارقام كبيرة لا تتناسب مع عدد سكان المدينة الذي قدّر في تلك المدة بما لا يزيد عن سبعة آلاف نسمة . لذلك لا يعقل ان يقتل النجديون في خلال مدة ٦-٧ ساعات سيطروا فيها على المدينة ما يقارب نصف سكان المدينة . حيث قدرهم القنصل الفرنسي (كورانسز) بثلاثة آلاف، ولاسيما ان العدد الاكبر من الغزاة كان مشغولاً بنهب ضريح الامام الحسين وعتبته ومنائره

لإخراجها من المزارات .

الموقف العثماني والفارسي
من الغزو النجدي الوهابي

اختلف الرحالة والقناصل الفرنسيون فيما بينهم في وصف مقاومة اهل المدينة للغزو النجدي لكربلاء فيصفها القنصل الفرنسي في حلب كورانسز بأنها كانت ضعيفة لكنها مع ذلك كانت مخيفة للوهابيين .

فسّر ذلك الضعف في مقاومة اهل المدينة للغزو النجدي القنصل الفرنسي في بغداد (جان بابتيست جاك لوي روسو) قائلاً " معظم سكانها قد ابتعدوا لعدّة فراسخ لأداء مراسم الزيارة لضريح والد سيدهم (الامام علي عليه السلام)[٢٩]، وكان ذلك لإحياء مناسبة عيد الغدير .أضرّت غزوة كربلاء بسمعة الدولة السعودية الاولى لما جرى فيها من عمليات قتل واسعة النطاق بإستخدام المهاجمين للسلاح الابيض والناري وملاحقة اهل المدينة في الأزقة والدهاليز وقتلهم ذبحاً . لكنها في الوقت نفسه أدّت الى تزايد نفوذ سعود بن عبد العزيز وأصبح بعد غزوة مدينة الامام الحسين عليه السلام أكثر رهبة تجاه المدن الاخرى التي كانت حتى ذلك الحين تعاني من ضراوته"[٣٠] .

كانت بغداد مركز الوالي العثماني قد اصابها الذعر عند انتشار خبر كارثة غزو مدينة الامام الحسين عليه السلام، وشعر الوالي العثماني بطعن لهيبة الدولة العثمانية وسمعتها بين المسلمين من رعاياها في العراق والجزيرة العربية، ولاسيما ان أخبار جريمة الوهابيين قد وصلت الى داخل البلاط في طهران عاصمة الدولة الفارسية الخصم الآخر للدولة العثمانية، حيث كتب الامبراطور

الفارسي فتح علي شاه (١٧٩١-١٨٢٤) الى سليمان باشا (والي بغداد) رسالة مليئة بالعتاب المر، عبر له فيها عن سخطه من السلوك المتهاون والمستحق العقاب للكهية على ما قام به في حملته على الدرعيه وهدده بأنه سيتولى بنفسه ارسال جيش لإبادة هذه الطائفة الجديدة التي تهدف عقيدتها الى الحاق ضرر مستمر بالدين الاسلامي[٣١] .

فأورد (روسو) رد الفعل العثماني ضد ذلك الغزو وظهر ذلك من خلال رد سليمان باشا على رسالة فتح علي شاه برسالة يظهر فيها استياء العثمانيين من حادثة غزو الوهابيين لكربلاء حيث عبر عن عظيم تأثره لما سببه هذا الحدث المشؤوم الذي اصاب المدينة المقدسة وعزاه الى عدم ادراك الامور والاجراءات، واضاف بأنه لم يتوقع مثل هذا الهجوم الذي لم يتمكن من تداركه للسرعة التي تم بها، ووعده بالانتباه واليقظة إزاء تحركات الوهابيين في المستقبل والتعامل ضدهم بأقصى حزم ومع ذلك لم يكن لهذه التطمينات اي أثر، لقد واظبت هذه الطوائف على طريقها الطموح والمتعصب دون عوائق[٣٢] .

كان فتح علي شاه يذكر الوالي سليمان باشا بالهجوم الذي شنه علي باشا (نائب الوالي) في عام ١٨٠١ على الوهابيين عندما بدأت قوتهم تتزايد بأستمرار مسببة بإستمرار القلق للباب العالي العثماني، الذي كان ينظر اليهم بلا مبالاة حتى ذلك الحين، ولا بالتقدم السريع في اسلحتهم وعقيدتهم، وعندما افاق العثمانيون من ذهولهم كما قال : (جان بابتيست جاك لوي روسو) : قرروا أخيراً وقف هذا السيل المدمر الذي كان يتزايد يوماً بعد يوم،

حتى اصبح يهدد تركيا كلها بطوفان وشيك، فما هو العمل مع الحالة المحرجة هذه ؟ فيما انه كان يفتقر الى وسائل النهوض بالجيش، اصدر اوامره الى والي بغداد سليمان باشا بالذهاب لمهاجمتهم، فجمع هذا الوزير كل ما يمكن من قطعات وأوكل قيادتها بالكهية علي باشا الذي اصطحب العرب الذين ظلوا مخلصين لعقيدة اسلافهم وعاداتهم، ورفضوا تبني العقيدة وتولى قيادة الحملة زعيمهم محمد بن شاوي زادة وبسرعة وخلال أقل من شهرين كان الجيش الذي يتألف من العثمانيين والعرب قد وصل الى أراضي الاحساء، وهو في حالة وهن شديد بعد مسيرة مضنية عبر الصحراء الرملية الجرداء والشمس المحرقة، وقلة المياه والمجاعة التي عجزت عن أبادتهم بالكامل.

مع ذلك فان هذا الجيش المدمر تماماً نشر الرعب حالما وصل المدينة فقد تمكن الكهية علي باشا من توجيه ضربة ساحقة للاعداء الذين هوجموا في عقر دارهم لأول مرة، بعد ان كانوا هم المهاجين حتى ذلك الحين عاصمة امبراطوريتهم (الدرعية) على وشك الانهيار ولا يستطيعون القيام بأية محاولة لانقاذها أطلاقاً وأغتنم عبد العزيز الفرصة للهرب، بعد ان رأى بأن الوقت لا يسمح بالتفكير بجمع جيوشه المبعثرة والعاجزة عن القيام بأية مقاومة استخدم الدهاء في انقاذ مجد بلاده فنجح في تقديم الرشوة الى محمد بك شاوي زادة الذي نجح في اقناع الكهية علي بنصائحه ليقلب الامور فجأة رأسا على عقب ويصبح وسيطاً لاحتواء هذه المعركة، فقد دفع عبد العزيز مبلغاً كبيراً من المال لاحد القادة الأتراك وتمكن من تحقيق السلام بين الطرفين، فتخلى الكهية علي عن متابعة حملته العسكرية ضد الوهابيين بعد ان

كان باستطاعته تدميرهم بعد الرعب الشديد الذي استولى عليهم عند اقترابه منهم، فعاد الى بغداد وسرعان ما اكتشف خيانة محمد بن شاوي زادة وندم على الاصغاء لنصائحه في البداية [٣٣] .

وبعد مضي اشهر عدة على هذه الحادثة، فأن عبد العزيز كان متأثراً جداً من هذه المشاريع العدائية (حسب وجهة نظره)، بعد الدرس القوي الذي تلقاه مشيراً الى الاستيلاء المفاجئ وغير المتوقع على (مشهد) الامام الحسين عليه السلام وباختصار فان الوهابيين بعد ان ارتكبوا مجزرة رهيبة وغريبة في هذه المدينة المسكينة ونهبوا ودمروا المسجد الذي يضم ضريح ابن الامام علي عليه السلام الذي يقدسه الشيعة كثيراً عادوا الى الدرعية منتصرين [٣٤].

على أي حال لم يقم سليمان باشا بأي حملة جديدة ضد الوهابيين حسب ما ذكر القنصل الفرنسي في حلب كوارنسزسوي جمع اعداد كثيرة من القوات في (باشوية) بغداد لكنه لم يرسلها مرة اخرى لقتال الوهابيين [٣٥] .

غير ان الموقف العثماني لم يقتصر على ذلك بل كان هناك رد فعل أخر أغفلته المصادر الفرنسية وجاء ذكره في الارشيف العثماني وبعض المصادر العثمانية حيث أشارت الى ان الدولة العثمانية حاولت التفاوض مع سعود بن عبد العزيز أمير الوهابيين فأرسلت آدم أفندي وهو احد المدرسين المشهورين في استانبول الى نجد للتفاوض مع سعود بن عبد العزيز الذي كان معيشه على اطاف الحجاز، والتقى به آدم أفندي في الثامن من محرم ١٨٠٣ م بالقرب من الطائف وخلال اقامة آدم أفندي التي استمرت هناك ثلاثة عشر يوماً اجتمع بالامير السعودي خمس مرات، وحاول ان يشرح له مدى أهمية ان

تبعث الدولة اليهم رسولاً لاول مرة . لكن الأمير سعود بن عبد العزيز راح يتحدث اليه عن الوهابيين انفسهم، وعن الحروب التي خاضها هو ووالده ضد الشرك والبدع (كما يدعي) ويروي له كفاحهم الذي قاموا به لانقاذ المسلمين من الاحتلال الى الطريق القويم . وعلى ذلك اضطر ادم افندي هو الاخر ان يخوض في الموضوعات الدينيه، ويفند له بمختلف الادلة مدى تهافت معتقداتهم في مواجهة المذاهب السنيه الاربعة . (٣٦)

لقد كان رد سعود عليه (وهو المعروف بتعصبه) كما يصفه المؤرخ التركي زكريا كورشون قائلاً " هاهي اقوالكم تلك التي اضلت المسلمين " ثم راح يحدثه عن تمسكه بتعاليم الوهابية . ولما ذكره ادم افندي بانه سُئل في الخطاب الذي حمله اليه من الصداره العظمى عن اسباب اعتدائه على كربلاء، ردَ عليه سعود بانهم فعلوا ذلك بسبب ان والي بغداد كان يعمل على تعجيزهم والضغط عليهم بوساطة عساكرهم احياناً وبوساطة القبائل الموجوده في محيطه احياناً اخرى . كما صرح له بان الشيعة المقيمين في النجف وكربلاء قد خرجوا عن الدين بسبب اساليب عبادتهم ومعتقداتهم، وان اموالهم وارواحهم أُحلت للوهابيين بل وذكر له ان الايرانيين لو فكروا بالاضرار بالدوله العثمانية بسبب هؤلاء فانه سوف يتصدى لهم دون انتظار اي مساعدةمن الدولة (٣٧) .

وهكذا فشلت الدوله العثمانية في اقامة اول حوار مباشر مع الوهابيين، اذ يبدو ان الوهابيين قد اصابهم الغرور بعد نجاحهم في عملية غزو كربلاء حتى انهم عدّوا انفسهم يمتلكون امكانية قوة عسكرية اكبر من امكانية الدولة

العثمانية التي لم تحقق النجاح في حملاتها العسكرية السابقة ضدهم واكثر من ذلك فقد وصل بهم الامر الى اخبار ادم افندي بان لديهم ما يكفي من القوه في مواجهة الدوله الفارسيه القاجاريه اذا ما فكرت بمهاجمتهم من جانب اخر بلغت الجرأة في سعود بن عبد العزيز الى كتابة الخطابات الى السلطان والولاة يدعوهم فيها الى الايمان ويقصد بذلك انهم مشركون وعليهم اعتناق العقيده الوهابية، فعلى سبيل المثال ورد في خطاب كتبه سعود بن عبد العزيز الى والي بغداد علي باشا (ويحتمل انه عقب مداهمته كربلاء) ذكر فيه انه اذا صدق معتقداتهم ودخل الاسلام فان سعود بن عبد العزيز سوف يقدم اليه مائتي الف جندي بغير اجر كما زعم له في الخطاب ان شريف مكة المكرمة وكذلك والي الشام عظم زاده عبد الله باشا قد لبيا دعوته ودخلا الاسلام(٣٨).

على ذلك يمكن القول ان الوهابيين قد بالغوا في ثقتهم بانفسهم وفي امكانية جمع مائتي الف جندي ولعلّهم كانوا يعرفون ان الباب العالي قد أوكل أمر محاربتهم لوالي بغداد الذي فشل في اكثر من مره في حملاته العسكرية للقضاء عليهم، كما إن الدولة العثمانية كانت مشغولة بتلك الحقبة في نزاعاتها مع روسيا والنمسا وقبلها فرنسا بسبب الحملة على مصر فلم تكن متفرغة لقتالهم في صحراء نجد الواسعة .

أخيراً أسفر الغزو النجدي الوهابي لكربلاء من تخريب اجزاء مهمة من الروضة الحسينية ولا سيما قلع الاشياء الثمينة كالشبابيك والصناديق وكانت تغطية سجادة موشاه باللؤلؤ وقسم منها كان كبيراً ونادراً جلب من بلاد فارس، واصبحت نهباً للوهابيين الذين لم يتوانوا ايضاً عن محاولة قلع

صفائح الذهب المرصوفة على القبة فلم يوفقوا في ذلك ولعلّ ان بقاءها كان بسبب انها مثبتة جيداً، ومع ذلك قد ذكر كوارنسز ان ما اخذه النجديون الوهابيون من ضريح الامام الحسين عليه السلام وقبته ومنائره حمل مائتي جمل من المنهوبات اخذوها الى الدرعية [٣٩].

آثار ونتائج الغزوات النجدية الوهابية لمدينة كربلاء على الاوضاع السياسية

كان من أهم النتائج التي أفرزها الغزو النجدي الوهابي على المستوى السياسي تصاعد نفوذ عبد العزيز بزيادة عدد قواته يومياً حسب ما ذكر روسو فاصبح "بعد حملته على مدينة الامام الحسين عليه السلام والثروات التي غنمها والقسوة التي يمارسها عساكره أكثر رهبة تجاه المدن الاخرى التي كانت حتى ذلك الحين بمأمن من ضراوته . فنجاحاته جردتها حتى من وسائل الدفاع بسبب الرعب الشديد الذي اصابها فلم تجرأ على مقاومته لئلا يكرر ما قام به تجاه مدينة الحسين وكلها على ما يظهر انقادت للإستسلام للمنتصر الواحدة تلو الاخرى[٤٠].

ومن الآثار السياسية الاخرى ان باشا بغداد أحسَّ بتقصير عمر آغا ممثل العثمانيين في كربلاء في سنتي (١٨٠٠-١٨٠٢) حيث فرض المواجهة على القرى الريفية المجاورة مما دفع الاهالي الى اتهامه بالتواطىء مع الغزاة مما دفع سليمان باشا الى احالته الى المحكمة فأدانته وحكمته بالاعدام فأعدم وبذلك حلّت عليه لعنة المدينة (كربلاء) .

اما سعود بن عبد العزيز الذي قاد عملية غزو كربلاء فقد قتل والده عام

١٨٠٣ من قبل شخص يُدعى علي البغدادي وتشير الروايات الى ان والي بغداد ارسله لقتله، بينما بينت مصادر اخرى ان علي البغدادي فارسي او افغاني قتلت زوجته واطفاله على أيدي الوهابيين عند غزوهم المدينة، فرحل والدهم بطريقه الى الدرعية وادّعى اعتناقه المذهب الوهابي ليدخل في خدمة الزعيم وعمل هناك حوالي عام منتظراً الفرصة لأخذ ثأر زوجته وفعلاً قتل عبد العزيز والد سعود وهو يصلي خلفه فأنقضَّ عليه اتباعه وقتلوه في ١٣ تشرين الثاني ١٨٠٣[٤١].

أضاف روسو ايضاً وبيّن فظاعة الوهابيين في كيفية قتل القاتل : " وقد القي القبض على القاتل واحرق حياً، مع ان المسلمين سرّهم ان يعدّوه شهيداً بحسب عقيدتهم، مدّعين بأن اللهب لم يلتهمه . فاضطر الوهابيون الى وضعه بين يدي الجلاد الذي قطع رأسه[٤٢].

لكن هناك آراء اخرى غير ما جاء في المصادر الفرنسية حول حادثة قتل عبد العزيز اعتمدت على ما جاء في الارشيف العثماني فأحد الآراء ذكر ان : " شخصاً يدعى حاجي عثمان أُمِرَ بالتوجه الى الدرعية متخفياً في زي درويش بتحريض من والي بغداد، ثم قتل امير الوهابيين عبد العزيز بن محمد وهو داخل الجامع [٤٣].

في حين ورد في رأي آخر ان الشخص المذكور هو الذي طلب من الوالي القيام بهذه المهمة من تلقاء نفسه معتبراً اياها واجباً دينياً، وان الوالي عرض عليه تقديم مساعدة مالية لكنه لم يقبل بذلك، وان الذي فعله الوالي هو فقط حثه على القيام بهذه المهمة وهناك من يقول ان تلك الحادثة كانت من ترتيب إيران [٤٤] .

ومهما يكن الدافع وراء قتل عبد العزيز سواء أكان من علي البغدادي انتقاماً لعائلته أم من حاجي عثمان بدفع من والي بغداد أم كان بترتيب من إيران فان لعنة مدينة كربلاء قد وقعت عليه كما وقعت على عمر آغا ممثل العثمانيين في كربلاء .

لقد أثارت الغارة على كربلاء سخطاً عظيماً في العالم الاسلامي، سواء أكان بين السنة أو بين الشيعة، أما الدولة العثمانية فكانت لا تزال تعقد آمالها على والي بغداد سليمان باشا، ولما توفي الرجل فجأة تبدلت طبيعة المسألة، وبناءاً على ذلك تم عقد مجلس الشورى في استنانبول مرة اخرى [٤٥] .

وكانت هناك نتيجة اخرى برزت بعد سنوات من الغزو النجدي الوهابي لكربلاء، فالمسلمون بدأوا بالتبرع بتعويض ما نهب الغزاة من كنوز في ضريح الأمام الحسين عليه السلام فأشارت الموسوعة الاسلامية بالفرنسية الى ذلك بالقول : "ولكن بعد هذه الكارثة قام الشيعة في كل مكان في العالم بتقديم العطايا والنذور بكميات هائلة لإعادة اعمار وترميم القبر الشريف وملحقاته[٤٦] .

لم يثن مقتل عبد العزيز بن سعود النجديين الوهابيين عن مواصله هجماتهم على مدينة كربلاء وأطرافها فهاجموا ونهبوا حقولها في عام ١٨٠٦ وفي عام ١٨٠٧ وصل النجديون الى الحلة ثم الى كربلاء وهاجموها في وضح النهار وفرضوا عليها حصاراً شديداً لكن اهل كربلاء استماتوا في الدفاع عن مدينتهم فقتلوا عدداً من المهاجمين واجبروهم على التراجع، لكنهم اغاروا مرّة اخرى عام ١٨١٠ على مدينة كربلاء والحلة والنجف، وقد وصفت السائحة الفرنسية (مدام ديولافوا Madam Dieu la foy) تلك الغارات النجدية الوهابية

قائلة: " أغار الوهابيون على مدينة كربلاء التي تعدّ من المزارات والعتبات المقدسة لطائفة الشيعة ومنعوا المسلمين من زيارة هذه المدينة المقدسة مدّة عشر سنين من ١٨٠١-١٨١١ وقتلوا الكثيرين منهم حتى قيل أنه قلما تجد مسلماً منهم ولم يكن فيه مأتم من جرّاء حركات الوهابيين تلك ولكن في الاخير في عام ١٨١٣ استطاعت الدولة العثمانية ان تستعين بالجيش المصري (بقيادة ابراهيم باشا) لطرد الوهابيين النجديين من الحجاز وتعيد مكة المكرمة والمدينة الى الممتلكات العثمانية [٤٧].

لكن المصادر الفرنسية لم يرد فيها تفصيلات عن الغزوات النجدية الوهابية على كربلاء والنجف والمدن الاخرى المجاورة التي تلت غزو كربلاء عام ١٨٠١ [٤٨].

وفي نهاية القرن التاسع عشر وصفت السائحة الفرنسية الوجود النجدي الوهابي في العراق قائلة : " ومازال عدد الوهابيين في بلدة العراق وما جاورها كبيراً ولكن الدولة العثمانية تراقبهم وترقبهم بحذر وتحصي عليهم انفاسهم لا لأن عقائدهم وآراءهم سخيفة وفاسدة بل لأنها تخشى بأن يقوموا بحركات واضطرابات جديده كالتي كانت في مطلع هذا القرن وتركت اسوأ الآثار في قلوب المسلمين الملتاعه"[٤٩] .

الخاتمة

من خلال القراءة الفاحصة للمصادر الفرنسية عما كتبته عن حادثة الغزو النجدي الوهابي لمدينة كربلاء عام ١٨٠١ تبين الاتي :

ركزت المصادر الفرنسية على رفض النجديين الوهابيين المذاهب السنية الاربعة ومذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية وكان ذلك الغزو احد الامثلة التأريخية على الارهاب الفكري ومحاولة فرض العقيدة بقوة السيف .

- اظهرت كتب الرحالة والرسميين والكتاب الاخرين من الفرنسيين القريبين من الحقبة الزمنية لحادثة الغزو النجدي الوهابي ان اسباب الغزو لم تكن اسباباً دينية فقط مثل ما أراد ان يسوّقها بعض دعاة الوهابية بل كانت وراءها دوافع سياسية تتمثل بالصراع مع الدولتين العثمانية والفارسية فضلاً عن الاسباب الاقتصادية المتعلقة بالصراع على حماية طرق القوافل التجارية والحج واخذ الرسوم عليها، وكذلك ماقام به الغزاة من نهب للاموال والخزائن الموجودة في ضريح الامام الحسين عليه السلام برغم ما للمرقد الشريف من مكانة دينية مقدسة لدى كل المذاهب الاسلامية حتى غير الشيعية منها بوصفه حفيد النبي محمد صلى الله عليه وآله .
- وصفت المصادر الفرنسية القسوة التي استخدمها الغزاة النجديون الوهابيون في قتل جميع من يصادفهم من الرجال شباباً وشيوخاً وطالت قسوتهم لتشمل قتل النساء، بل وصلت قسوتهم الى حد قتل الحوامل منهن وبقر بطونهم وتقطيع اوصال اجنتهن مما يدّل على

مجافاة هذا التصرف أخلاق الفروسية العربية التي تقضي بتجنب قتل النساء والشيوخ والاطفال .

- ذكرت بعض المصادر الفرنسية خطأً ان اهالي مدينة كربلاء لم يقاوموا الغزاة وكان ذلك يجانب الحقيقة لأن القليل الباقي منهم الذي لم يذهب لزيارة الامام علي عليه السلام بمناسبة عيد الغدير، قاوم اولئك الغزاة لكن التفوق العددي كان لصالح الاخيرين .
- أظهرت المصادر الفرنسية ان النجديين الوهابيين لم يقتصر غزوهم على مدينة كربلاء المقدسة بل شمل مدناً عراقية أخرى مثل عانة وهيت والمثنى والبصرة وسكان تلك المدن خليط من المذاهب والطوائف المختلفة وليسوا من مذهب واحد فقط .
- أشار قسم من المصادر الفرنسية الى ما يمكن تسميته بلعنة كربلاء فقد قتل عبد العزيز بن سعود زعيم الوهابيين على يد احد المتضررين من الغزو النجدي الوهابي لمقتل عائلته على أيدي الغزاة عندما كانوا يؤدون مراسيم الزيارة وكذلك الحال مع عمر آغا ممثل العثمانيين في المدينة بعد أتهامهم بالتقصير في الدفاع عنها فصدر عليه الحكم بالاعدام من والي بغداد .
- اكدّت المصادر الفرنسية على سخط واستياء العالم الاسلامي من حادثة الغزو النجدي والوهابي لكربلاء، حتى ان الدولة الفارسية عند بلوغها الخبر اعلنت الحداد ولبس الايرانيون الملابس السوداء فضلا عن ارسال فتح علي شاه رسالة الى والي بغداد يبيّن فيها استياءه

من الحادثة ولا سيما قد تم قتل عدد من الزوار الايرانيين خلالها .

- احد المصادر الفرنسية ذكر بأن اهل المدينة والمسلمين الاخرين من خارجها تبرعوا بالعديد من الهدايا الثمينة لتعويض ما سرقه النجديون الوهابيون من خزائن ضريح الامام الحسين عليه السلام ولم تمض سوى مدّة قصيرة حتى زادت الهدايا الجديدة على ما سرقه الغزاة من كنوز واموال .

ان اهم ما يمكن الاستفادة منه الكتابة عن الاحداث التأريخية هو أخذ العبرة ومعرفة تأثير الماضي بالحاضر حيث إنَّ ما يحصل اليوم من تعصب وتطرف وارهاب فكري والسعي لإلغاء الآخر بالقتل والحرق والقسوة ونهب الاموال واستخدام الدين لتسويغ كل ذلك يذكر بما حصل لمدينة كربلاء المقدسة في عام ١٨٠١ ويجعل الجميع مسؤولين ومدعوين لإشاعة روح التسامح واحترام الآخر فالدين الاسلامي هو دين الرحمة والمحبة والإخاء والمساواة لا يقوم على الإكراه والقتل والتمثيل بجثث القتلى بعيداً عن حقوق الانسان والمباديء الاسلامية السمحة .

الهوامش

١. د.قيس جواد العزاوي، د. نصيف الجبوري، كربلاء كما وصفها بعض المستشرقين الفرنسيين، ارشيف حضارة كربلاء (مجلة)، العدد الثاني، السنة الاولى، ١٤٣٦هـ -٢٠١٥ م، ص٢٤-٣٣ .

٢. روسو، جان باتيست لوي جاك، رحلة الى الجزيرة العربية سنة ١٨٠٨، ترجمة د. بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الاولى، بيروت، ١٤٣٠ هـ-٢٠١٠م، ص١٥٠ .

3. Rousseau (J.B.L.) Description du pachalik de Bagdad Suivie D'une Notic Historique Sur les wahabis et de quelque autres Pieces relative à l' histoire et a la Litterature de l'orient paris 1809 pp.129-130 .

4. Rousseau (J.B.L.) Voyage à La Peusulu Arabic dans l annee 1808 Paris 1808 P.89 >Ibid p.90 .

5. Rousseau (J.B.L.) Description p.134 .

6. Ibid op p.135 .

7. Rousseau (J.B.L.) voyage op p.92 .

8. Ibid p.93 .

٩. كريستيان نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥، ترجمة سعاد هادي العمري، بغداد، ١٩٥٥، ص٩٣ .

10. Encyclopedie de l islam ed.Maison neuve & la Rousse paris 1979 . p .182

11. Dupree voyage en perse fait dans les annees 1807 1808 1809 en traversant La Natolie et la mesopotamie Tom premier paris 1819 p.210 .

12. Rousseau (J.B.L.) Description op . at p.73 .

13. Ibid p.72 .

١٤. ديلك قايا، كربلاء في الارشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠ – ١٨٧٦)، ترجمه عن التركيه، حازم سعيد منتصر، مصطفى زهران، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ص٣٤-٣٥ .

١٥. د. زكريا كورشون، العثمانيون وآل سعود في الارشيف العثماني، ١٧٤٥-١٩١٤م، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١٠م – ١٤٣١هـ، ص٥٩-٦٠ .

16. Niebuhr(c.) voyage en Arabie et en autre pays circoisions tome seconde Amstrdam Mdcclxxx . p.218 .

١٧. د . صادق ياسين الحلو، كربلاء في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ١٨٠٠-١٩٠٨، بحث مطبوع على شبكة المعلومات، غير منشور، مقدم لموسوعة كربلاء المقدسة، ٢٠١٤، ص٨ .

18. Jacqueline pirenne A La decouverte de l Arabie Biblio theque relies le

livre conthemporaine paris 1958 .

١٩. نقلاً عن جواد العزاوي، د.نصيف الجبوري، المصدر السابق، ص٢٩ .

٢٠. د.مقدام عبدالحسين باقر الفياض، الغزو النجدي الوهابي لمدينة كربلاء المقدسة في مطلع القرن التاسع عشر، دراسة تأريخية تحليلية، تراث كربلاء، السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الاول، جمادي الاول ١٤٣٦ هـ، آذار ٢٠١٥ م، ص١٧٢ .

21. Rousseau op . cit p.74 .

22. Fernand (J. Tomiche) L' Arabie s'eoudite Que – sais-je ? paris 1965 p.34 .

23. Rousseau (J.B.L.) voyage de bagdad a Alep paris 1808 pp.85-86

٢٤. انظر عن رأي اوليفيه، ص٩

25. Rousseau (J.B.J.) Description op . cit p.74-75 .

26. Olivier (h .a) voyage dans l empire ottoman l Egypt et la perse T .4 paris An 12 (1803) p . 415 .

27. Encyclpedec op.cit.182 .

28. Dupree op. cit p.210 .

29. Ibid p.158

30. Ibid p.130

31. Ibid p.157-158.

32. Ibid p.158

33. Ibid p.154-155

34. Ibid p.155

35. Corances (L.A) Histoire Des wahab' is depuis leur origine a 1805 paris 1810 p.28

٣٦. زكريا كورشون، العثمانيون وآل سعود في الارشيف العثماني ١٧٤٥ – ١٩١٤، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١٠، ص٦٦.

٣٧. الارشيف العثماني (3784L.HH) نقلاً عن زكريا كورشون، المصدر السابق، ص٦٧ .

٣٨. الارشيف العثماني (3830.HH) نقلاً عن المصدر نفسه .

٣٩. 28.Corances (L-A) op.cit p

٤٠. جان بابشت جاك لوي روسو، وصف باشوية بغداد سنة ١٨٠٩، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسن، بغداد، ٢٠١٢، ص١١٣-١١٤.

٤١. المصدر نفسه، ص١٢٠ .

٤٢. المصدر نفسه، ص١٢١ .

٤٣. الارشيف العثماني (3381.HH) نقلاً عن زكريا كورشون، المصدر السابق، ص٦٤ .

٤٤. زكريا كورشون، المصدر السابق، ص٦٧ .

٤٥. المصدر نفسه .

46. Encyclo pedie op .at p.183 .

٤٧. مدام ديولا فوا، رحلة مدام ديولا فوا الى كلدة العراق، ١٨٨١م، ١٢٩٩هـ، ترجمة علي البصري، ١٩٥٨، ص١٣٠ .

٤٨. للتفاصيل اكثر عن غزوات النجديين الوهابيين لكربلاء والمدن العراقية الاخرى، ينظر د. مقدام عبد الحسين باقر الفياض، المصدر السابق، ص١٩٥-٢٠١ .

٤٩. مدام ديولا فوا، المصدر السابق، ص١٣٠ .

٥٠. مصادر البحث :

51. Corancez (L.A) Histoire Des wahabis depuis leur origine a 1805 paris 1810 .

52. Dupree voyage en perse fait dans les anne'es 1807 1808 1809 T .1 paris 1819 .

53. Encyclo pedie de l' islam ed maison nuve & La Rousse paris 1979 .

54. Fernamd cj .Tomiche L'arabie se'oudite Ques sais –je ? paris 1965 .

55. Jacqueline pirenne A la decuverte de arabic Biblio theque relies le livre contemporaine paris 1958 .

56. La natolie la mesopotamie Tom premier paris 1819 .

57. Niebuhr (C.) voyage en Arabie et en outré pays cirvoisions tome seconde Amesterdam m d ccl xxx .

58. Olivier (h.a.) voyage a' l' empive ottoman l Egypt et la perse T.4 Paris An 12 (1803) .

59. Rousseau (J . B . J) voyage de Bagdad a Alep paris 1808 .

60. Rousseau (J . B . J) Description du pachalik de Bagdad suivie D'uue Notice Historique sur les wahabis et de quelque autres pieces relatives a histore a la litternture de iorient paris 1809 .

61. Rousseau (J . B . J) voyage a la pensula Arabic dans l annee 1808 paris 1808 .

المصادر بالعربية والكتب المترجمة والبحوث :

١. جان باتيست لوي جاك روسو، رحلة الى الجزيرة العربيه سنه ١٨٠٨، ترجمة من بطرس حداد، الدار العربيه للموسوعات، الطبعة الاولى، بيروت ١٤٣٠ هـ-٢٠١٠م

٢. جان باقدسيت لوي جاك، (روسو) وصف باشوية بغداد سنة ١٨٠٩، ترجمه وتعليق خالد عبد اللطيف حسن، بغداد ٢٠١٢ .

٣. د. صادق ياسين الحلو، كربلاء في كتابات الرحالة و القناصل الفرنسيين ١٨٠٠ -١٩٠٨، بحث مطبوع، غير منشور مقدم لموسوعة كربلاء المقدسه ٢٠١٤

٤. د . قيس جواد الغراوي، د .نصيف الجبوري، كربلاء كما وصفها بعض المستشرقين الفرنسيين، ارشيف حضارة كربلاء (مجله)، العدد الثاني، السنة الاولى، ٢٠١٥ -١٤٣٦ م

٥. ديلك قايا، كربلاء في الارشيف العثماني دراسه وثائقية ١٨٤٠-١٨٧٦، ترجمه عن التركيه، حازم سعيد منتصر، مصطفى زهران، الدار العربيه للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨ .

٦. د. زكريا كوشون، العثمانيون وآل سعود في الارشيف العثماني ١٧٤٥ - ١٩١٤، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١٠ م - ١٤٣١ هـ .

٧. كريستيان نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥، ترجمة سعاد هادي العمري، بغداد، ١٩٥٥ .

٨. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا الى كلدة العراق ١٨٨١ م، ١٢٩٩ هـ، ترجمة علي البصري، بغداد، ١٩٥٨ .
٩. مقدام عبد الحسين باقر الفياض، الغزو النجدي لمدينة كربلاء المقدسة في مطلع القرن التاسع عشر، دراسة تأريخية تحليلية، تراث كربلاء، السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الاول، جمادى الاولى ١٤٣٦ هـ، آذار ٢٠١٥ .